حول أثر المسجد في بناء الشخصية الوسطية

د. احمد عبدالله كسار الجنابي

About the mosque effect in building the average character

Ph.D. Ahmed Abdullah Kassar Al janabi

Without doubt that the mosques and worship houses have a great effect in building the Islamic character in it`s vast fields, but we must take care for those who feed and grow up these characters, because this educator character must represents the Prophet's character and must create characters of the grown up generation that call for average and moderation because we are a nation of middle .

The researcher showed the effect of the moral values in building the average and middle character, because the morals are the fruit of right belief, the researcher also showed the role of the family,environment, school and the mosque in building the middle thinking that build the right character that distinguished of balance and rationalism and away from deviation and corruption. This does not achieve unless there are declinable clerks that we can trust them in doing their missions of calling.

One of the ways of growing up the right character with balanced and middle thinking is to force the training and educational sessions in the mosques and the calling lectures in the scientific clubs and boards.

Sur l'impact de la mosquée dans la construction de la personnalité modérée

D. Ahmad Abdullah Kassar Al-Janabi ...

Il est certain que les mosquées et lieux de culte et de la science aient un impact significatif dans la construction de la personnalité islamique dans divers domaines, mais il faut faire attention à ceux qui fond élever ces caractères, et il faut que le prédicateur ou l'éducateur représente le caractère du Prophète –PSL- et de faire créer par les jeunes des personages appelant à la moderation et l'équilibre parce que nous sommes une nation de milieu .

C'est que le chercheur a mit en évidence les valeurs morales dans la construction de caractère juste et modérée, car la morale et le fruits de la vraie foi, ainsi que le chercheur a declare le role de la famille et de l'environnement, l'école et la mosquée dans la construction de la pensée juste qui construit la personnalité modérée caractérisée par l'équilibre et la rationalité loin de la déviation et de la corruption, et ce la ne produira que par des ulémas de grande habilité et indignes de confiance dans leurs fonctions de la predication…

Et l'un des moyens pour augmenter la personnalité juste ayant une pensée modérée et équilibrée est de faire des cours de formation éducatifs dans les mosquées qui prêchent et dans les lieux de réunion et les clubs et les conseils scientifiques…

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، وأشكره وهو الكفيل بالزيادة لمن شكر، فحمداً لمن سخر الشمس والقمر، والصلاة والسلام على من أرسله هداية للبشر، وأنشأ التشريعات وأقر، وأزال عنا الكروب ودفع الضرر، وغفر عيوب البرايا وستر، وأهطل الماء من السماء وأمطر، وأخرجه من الينابيع والعيون وفجر، وأهلك الظالمين ودمر، فحذر من النار وأنذر، ووعد بالجنة وبشر، ورفع المتقين في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أما بعد:

فقد حدد الإسلام ملامح الشخصية الأنموذجية بدقة عالية، وبين ما لها وما عليها، والمسالك السوية التي ينبغي أن تسلكها، وحذرت من الانحراف عن جادة الحق، سواء أكان هذا الانحراف بهجر الطريق السوي، أم بالغلو والمبالغة فيه، لذلك كانت المحن التي تعرض لها الإسلام تأتيه تارة من أعدائه، وتارة من المحسوبين عليه الذين غالوا وأدى بهم غلوهم إلى التطرف، فكانوا وبالاً على الإسلام .

إذن التحديات التي واجهت الإسلام على نوعين: تحديات خارجية تمثلت بالقوى المعادية للإسلام، وتحديات داخلية تمثلت بالمحسوبين عليه أدت عن قصد أم عن غير قصد إلى تفتيت الإسلام من الداخل، وتفكيك وحدته.

والذي لاشك فيه أن التحديات الداخلية كانت نتيجة تربية دينية منحرفة، ومن نهض به ليس أناس عاديون، بل أناس لهم مكانتهم الدينية وأن كلمتهم مسموعة، وتأثيرهم بين أتباعهم كبير، فوجدت أفكارهم الغالية والمتطرفة صداها بين أتباع يفتقرون إلى الوعي، فانتشرت فهذه الأفكار كانتشار النار في الهشيم .

لذلك رغبت في الكتابة عن الشخصية الوسطية في الإسلام، وأثر المساجد والجوامع في بلورة ملامح هذه الشخصية، وأثر المنبر في تحجيم التطرف أو تأجيجه .

لذلك سوف لن أتطرق إلى تعريف الشخصية والوسطية لوضوح معناهما لدى المتخصصين، وسأقتصر على بيان دور المسجد في تحديد ملامح الشخصية الوسطية في هذا البحث الموسوم: **(أثر المسجد في تحديد ملامح الشخصية الوسطية)** .

وقد اقتضت مستلزمات البحث أن أقسمه على مقدمة موجزة، وهي التي بين يدي القارئ الكريم، وثلاثة مباحث :

المبحث الأول: أثر القيم الأخلاقية في تجسيد الوسطية .

المبحث الثاني: أثر الأسرة في تكوين الشخصية السوية

المبحث الثالث: سبل تكوين الشخصية الوسطية .

وختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج والتوصيات .

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

أثر القيم الأخلاقية في تجسيد الوسطية

ينشب الخلاف بين الناس لأسباب مختلفة بعضها قد يكون وجيهاً، وبعضها قد يكون تافهاً، والانحياز إلى فكرة ما حق مشروع لكل الناس، وكل فئة ترى رأيها أصلح أو أصوب من فكر الآخرين، إذ لولا هذه القناعة لما انخرط هذا الشخص أو ذاك مع هذه المجموعة أو مع تلك، ويشذ عن هذا بعض الحالات التي ينخرط فيها شخص ما إلى مجموعة معينة لا عن قناعة وإيمان وإعجاب، بل لمصلحة أو لغرض معين، وهؤلاء خارج نطاق هذا الموضوع .

وحقيقة المشكلة ليست في الانتماء إلى هذا الاتجاه أو إلى غيره، أو أن يرى هذا الفريق نفسه أصحّ من غيره، فهذا تحصيل حاصل، حتى في الحالات التي يفرض فيها الانتماء على الشخص، كأن يخرج المرء إلى الدنيا وهو منتمٍ إلى طائفة أو إلى قومية أو إلى مذهب ما، فهو يتبنى هذا الاختيار ويدافع عنه ؛ ولكن المشكلة في أن يرى نفسه حقاً وسواه على الباطل، ولا يكتفي بهذا الشعور، بل يسعى إلى إرغام الآخرين على تبني أفكاره وترهيبهم للخضوع لها .

لهذا السبب نشبت كثير من الحروب والمعارك والفتن، بين الشعوب والجماعات، لذلك فقد جنحت تلك الأمم والجماعات إلى منهج الوسطية والاعتدال، وترك التطرف والغلو الذي يسبب الخراب أكثر مما يسبب الصلاح، فساد مبدأ الوسطية بعد تجارب مريرة، ونزاعات عنيفة.

والمسلمون لا يلجأون إلى الوسيطة بوصفها حل مستورد، أو أن الظروف أملت عليهم العمل بها، فهي منهج إسلامي أصيل، يشهد على ذلك تعايش المسلمين مع الديانات والملل الأخرى تعايشاً سلمياً، وقد تغلب المنطق الوسيط النظري على المنطلقات الفكرية المتطرفة والمغالية الأخرى، ولكن الواقع ما زال يشهد ابتعاداً عن هذه الوسطية، على

الصعيدين الفكري والتطبيقي .

إن التمسك الحقيقي بالقيم والأخلاق الإسلامية من شأنه أن يهذب الشخصية المسلمة، ويجنبها الغلو والتطرف، ويلزمها الوسطية والاعتدال، وتبدو أهمية القيم والأخلاق الإسلامية إن علمنا أن أكثر الغلاة والمتطرفين يعتمدون على نصوص قرآنية يعزلونها عن سياقها ويأولونها على حسب أهوائهم، أو يتبنون بعض الآراء في المسائل الخلافية ويحصرون الحق فيها دون سواه، ولا يكتفون بهذا بل يصمون من خالفهم بالكفر، أو يتعصبون لأقوال بعض العلماء ويرون أن الحق لا يغادرهم قيد أنملة، حتى إن كانت هذه الآراء شاذة أو تخالف رأي جمهور العلماء السابقين أو المعاصرين، يغلب على فكرهم وعلى سلوكهم الإجبار والإكراه والقتل إن سنحت لهم الفرصة، مدفوعين بتعصب أعمى بغيض وتقليد أعمى .

لقد صدَّق هؤلاء فرية الغرب من أن الإسلام هو دين سيف، فصاروا يرون في الإسلام البطش والانتقام والعنف مع المخالف، وتناسوا حقيقة الإسلام البسيطة المبنية على التسامح، وأن سيرة النبي الكريم ﷺ تجسد السماحة والعفو وقبول المعذرة واحترام الإنسان وباقي المخلوقات.

وفات هؤلاء أن القرآن الكريم وصف الأمة الإسلامية بالوسطية في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1] .

والأمة الإسلامية خوطبت بآيات قرآنية عظيمة تحدد لها رسالتها في ظل الإسلام بقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[2] .

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

لقد غاب عن هؤلاء قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[١].

وقال ﷺ: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) [٢] .

وقال عكرمة مولى عبد الله ابن عباس ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ : ((لِكُلِّ شَيْءٍ أَسَاسٌ، وَأَسَاسُ الإِسْلامِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ)) [٣] .

والأدب يكون أولاً مع الله ومع الرسول ﷺ ومع الخلق : بشراً وحيواناً ونباتاً وجماداً، لذلك فإن وسطية الإسلام تبرز بشكل قوي في هذه الشبكة العظيمة للأخلاق والآداب التي تحيط بالإنسان في جميع أحواله وعلى جميع مقاماته ومستوياته ومختلف مسؤولياته .

إن أمة الأخلاق هي أمة الوسط، لا تعرف العنصرية ولا التحيز، ولا الكيل بمكيالين، وأن لها حداً متى جاوزته صارت عدواناً، وما قصرت عنه كان نقصاً ومهانة، وضابط ذلك كله العدل، فأعدل الناس من قام بحدود الأخلاق والأعمال والمشروعات معرفة وفعلاً.

إن الأخلاق الإسلامية ثمرة العقيدة الصحيحة، والأخلاق الفاسدة نتاج الفهم المنحرف للعقيدة، فإذا تحقق الاعتصام بالكتاب والسنة، وكان التوجه إلى الله تعالى صادقاً خالصاً لا يبتغى به منافع دنيوية، كان حقاً أن يكون صاحبها قويم السلوك، لا يسعى للتفرقة أو لرمي الآخرين بالكفر .

إن وسطية الإسلام يجب أن نمثلها في سلوكنا وأفكارنا وتعاملنا فيما بيننا أولاً، ثم ننقلها إلى الخارج بالأفكار وبالسلوك، وأن نستذكر أن أعداد

---

(١) سورة القلم : الآية ٤ .

(٢) مسند الشهاب، لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، (ت ٤٥٤هـ)، تحقيق : حمديبن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧ هـ ـــ ١٩٨٦م : ١٩٢/٢ رقم (١١٦٥) من حديث أبي هريرة ﷺ. قال الهيثمي : رجاله ثقات . ينظر : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت ٨٠٧هـ)، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، بيروت، ودار الكتاب العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ : ١٥/٩ .

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، (ت٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ : ٣٤٠/٣ .

الذين دخلوا الإسلام تأثراً بأخلاق المسلمين أكثير بكثير من الذين دخلوا بسبب الفتوحات الإسلامية، وأن دول جنوب شرق آسيا دخلت في الإسلام تأثراً بأخلاق تجار المسلمين .

إن المتتبع لهدي النَّبِيّ ﷺ يعرف تمام المعرفة معنى الوسطية والاعتدال، والتيسير ونبذ التشدد في الأخلاق والسلوك، فمنهجه كله قائم على الاعتدال .

ومن الشواهد على الوسطية في الأخلاق والسلوك، ما صحّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهاـ في صوف رَسُول الله ﷺ قَالَتْ: ((مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبَعْدَ النَّاسِ عَنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إلا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ بِهَا)) [١] .

ومن المناسب هنا أن أذكر أن التوسط في الأخلاق، لا يعني البينية، أي: الوسط بين خلقين دائماً، فلا وسطية بين الصدق والكذب مثلاً، لأن الوسط يعني العدل لذلك حث الْقُرْآن الْكَرِيم على التحلي بالأخلاق الحميدة، إذ لا بديل لها ولا توسط بينها وبين الأخلاق الرذيلة، والشواهد على ذلك كثيرة جداً لايصعب على القارئ معرفتها وتتبعها، منها: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[٢]، و ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣] .

وقد حث الْقُرْآن الْكَرِيم على الخلق الحسن في التعامل مع المخالفين والمعارضين فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ

(١) صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ودار اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م : ٢٤٩١/٦، رقم (٦٤٠٤) .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

(٣) سورة الشعراء : الآية ٢١٥ .

فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1] .

كما عاب الْقُرْآن الْكَرِيم على منهج صرنا نلحظه بكثرة في أيامنا هذه، ألا وهو الكيل بمكيالين، وشنّع على هؤلاء الذين يضعون القوانين أو يطبقونها على أنفسهم وعلى أتباعهم بشكل مناقض أو مغاير لما يطبقونه على الآخرين، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[2]، فإذا كان هذا التهديد والوعيد لمن يعبث بالميزان، فما بالك بمن يعبث بحياة الناس وأمنهم وأعراضهم وممتلكاتهم؟

وأين هؤلاء من حديث رَسُول اللهِ ﷺ: ((مَن أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ)) [3] .

قال النووي في شرحه: " فيه تأكيد حرمة المسلم، والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه، وقوله ﷺ: (وإن كان أخاه لأبيه وأمه) مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد سواء من يتهم فيه ومن لا يتهم، وسواء كان هذا هزلاً ولعباً أم لا لأن ترويع المسلم حرام بكل حال؛ ولأنه قد يسبقه السلاح .. ولعن الملائكة له يدل على أنه حرام "[4] .

---

(١) سورة فصلت: الآيات ٣٤ ــ ٣٦ .

(٢) سورة المطففين: الآيات ١ ــ ٥ .

(٣) صحيح مسلم. لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ : ٢٠٢٠/٤، رقم (٢٦١٦).

(٤) شرح صحيح مسلم، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي، (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ : ١٦٩/١٦.

ووسطية الإسلام تلافت الخلل الكائن في العلاقة بين الفرد والمجتمع، فالمجتمع الاشتراكي يرى أن المجتمع مقدم على الفرد، وأن دور الفرد في المجتمع لا يزيد على دور قطعة الغيار في آلة كبيرة، في حين أعطى المجتمع الرأسمالي للفرد الأسبقية فله أن ينال أو يفعل ما يريد من دون أن يؤبه للمجتمع إلا بحدود ضيقة، أما الإسلام فقد وازن العلاقة بين الفرد والمجتمع، فالفرد ليس مجرد قطعة غيار في المتجمع، ولا يحق له أن يفعل ما يريد بشكل بوهيمي(١) .

فالإسلام يحترم الملكية الفردية ويقرّها،؛ لأنها توافق الفطرة الإنسانية ؛ ولكنه لا يقرّها مطلقة من كل قيودها، بل جعل لها ضوابط وقيود تحول دون الاعتداء على مصلحة المجتمع، وكذلك يحترم مصلحة المجتمع دون التعدي على مصلحة الفرد، ففيه الإرث والوصية والزكاة والصدقة وغير ذلك من وجوه الإنفاقُ المشروعة، كما حرّم الاحتكار والرّبا والغشّ وغيرها من وجوه الاكتساب المحرّمة(٢) .

إن وسطية القيم الإسلامية لم تلغ الطبيعة البشرية، بل عملت وتعمل على توجيهها باعتبارها مفاهيم ضابطة، تعمل على توجيه هذه الطبيعة، فهي لا تضاد الفطرة ولا تلغيها ولا تكبتها ولا تقف في سبيلها، بل تحاول توجهها بطريقة دافعة، ومن منطلق هذه الوسطية يلزم الإسلام الإنسان بالقيم المحققة لإنسانيته، والتي لا تغلو في طرف وتهمل طرفا آخر، فالإنسان مطالب –مثلا– بالتوسط في الإنفاق،

(١) ينظر: على سبيل المثال توضيح المعاملات المالية في ظل النظامين الرأسمالي والاشتراكي وموقع الفرد والمجتمع منهما في كتاب الوسطية في الإسلام، للدكتور زيد الزيد : ٥٦ نقلا عن الوسطية في ضوء القرآن، للدكتور ناصر العمر، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م : ٤٩ .

(٢) ينظر: توضيح المعاملات المالية : ٥٠.

والعاطفة، والاعتقاد، وتوفية مطالب الروح والجسد، والآيات التي تؤيد ذلك عديدة منها: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[١].

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[٢] .

إن تلك الوسطية التي تتميز بها القيم الإسلامية، تعد عملية انتقائية، إلا أنها توفيق دقيق جدا بين الوحي وإمكانات الإنسان الأرضية، وهو ضروري لأنه يولد لدى الإنسان حيوية الاختيار والانتقاء للالتزام بها[٣]، مما يتيح في النهاية عملا يتسم بالصدق في المظهر والمخبر، بخلاف عملية التلفيق التي لا تحمل دلالة نفسية على تقوى أو صلاح[٤].

وهذه الوسطية تستلزم التفهم الكامل الواعي لموضوعات القيم، لأنها تستلزم الاختيار ولا اختيار بدون وعي، أي أنها تُتعلم، فالإنسان لا يولد مزودا بها، ولكن لديه الاستعداد ومن ثَم تنشأ وتتكون لديه من الخبرات والمواقف التي يعيشها الإنسان.

وهي ترتبط بالجزاءات الدنيوية والأخروية، ولذا أُوجد الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، ولكن هناك هدف آخر أسمى وراء الالتزام بعد الاختيار القائم على وعي كامل، لما جاء به الشرع وأمر بالالتزام به، ذلك الهدف هو إرضاء الله تعالى، ويأتي الجزاء بعد ذلك والذي لا يحرم منه الملتزم.

وهي تقوم على أساس الضبط والتوجيه والتنمية والتربية، ولذا فإن أهداف التربية في أي مجتمع إنما تشتق من هذه القيم التي تهتم بجوانب الإنسان المختلفة وبصورة متكاملة، فسلطان القيم منبسط على كافة وجوه النشاط الإنساني كلها، لا

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٢٩ .

(٢) سورة القصص : الآية ٧٧ .

(٣) دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبدالله دراز، وزارة الأحباس والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية مطبعة فضالة المحمدية، الرباط، ١٩٨٣ : ص١٢٦.

(٤) المدخل إلى القيم الإسلامية، جابر قميحة، القاهرة، دار الكتاب المصري، د.ت، ص٧٨.

يشذ عنها عمل تربوي ولا يتفاوت في حكمه نشاط بدني أو عقلي أو فني أو أدبي أو روحي[١].

وفي الأثر: ((أحبب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغيضك يوما، وأبغض بغيضك هونا، عسى أن يكون حبيبك يوما ما)) [٢].

والإسلام دين الاعتدال أيضا، وهو يدعونا إلى الاعتدال في كل شيء، في الطعام والشراب، وفي السلوك، والعاطفة.

وضابط الأخلاق الذي ربى الإسلام الناس عليه؛ جعل سلوكهم معتدلاً في كل شيء. ولهذا فإن منظومة الأخلاق في الإسلام قائمة على الاعتدال .

المبحث الثاني

أثر الأسرة في تكوين الشخصية السوية

من الطبيعي أن يختلف العلماء في تحديد مقومات الشخصية، ومن حيث العموم، فهذه المقومات تعتمد على مكونات الشخصية نفسها، أي كيف تكونت هذه الشخصية، وكيف تبلورت، والعوامل المؤثرة في تكوين الشخصية .

أولاً ــ العوامل المؤثرة في تكوين الشخصية :

تؤثر في تكوين الشخصية عدة عوامل مجتمعة، هي :

١. النواحي الجسمية: والمراد بها التكوين الجسماني للفرد، فالشخص الذي يتصف بضعف البنية مثلاً لا تشابه شخصيته شخصية ضخم البنية، وغير ذلك من صفات جسمانية.

---

(١) دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، محمد عبدالله دراز، دار القلم، الكويت، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، ص١٢٣، ١٢٤ .

(٢) الأدب المفرد. لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت٢٥٦ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م : ٤٤٧، باب أحبب حبيبك هونا ما، رقم (١٣٢١) .

٢. النواحي العقلية والمعرفية: والمراد بها الإمكانات العقلية للفرد وقدراته، زيادة على ما تحصل لديه من معارف ومعلومات .

٣. النواحي المزاجية: ويراد بها ردود فعل الفرد وتصرفاته تجاه المواقف المختلفة، وكيفية تعامله معها .

٤. النواحي الخلقية: يختلف الناس باختلاف موروثاتهم الخلقية، والوراثية، وتؤثر النواحي الخلقية في سلوك الفرد العام وفي بلورة شخصيته.

٥. النواحي البيئية :ويبدأ تأثير البيئة في الفرد من الأسرة، إذ تؤثر تأثيراً كبيراً في تكوين الشخصية، ومن ثم المؤسسات التربوية والتعليمية، بدأ من رياض الأطفال، وانتهاء بالتعليم الجامعي، وتأثير البيئة المحيطة به: المحلة، والحي، والمدينة، والمسجد، فتؤثر كل هذه العوامل مجتمعة في تكوين الشخصية، فعندما يتفاعل شخص مع جماعة ؛ فإن ذلك يؤثر في سلوك الشخص، وكذلك الخبرات المتولدة من التعامل الأشخاص [١] .

ثانياً ــ العوامل الرئيسة التي تشارك في تركيب مكونات الشخصية :

تشترك جملة مقومات في إضفاء ملامح تميز بين الشخصيات المختلفة، وهناك نظريتان في تحديد هذه العوامل :

النظرية الأولى: إن العوامل التي تشترك في تركيب مكونات الشخصية هي:

١ــ الصفات الفطرية: وهي مجموع القدرات والاستعدادات والصفات العقلية والجسمية التي يولد الفرد مزودا بها والتي يتشابه جميع أفراد النوع فيها .

٢ــ الاتجاهات (العادات): ويراد به اتجاهات الفرد وعلاقته بالآخرين ترتبط بمجموعة من العوامل البيئية، وشعور الفرد بالاطمئنان والحب

(١) ينظر: الأبعاد الأساسية للشخصية، د. أحمد محمد عبدالخالق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٤، ١٩٧٨م : ٣٤ ــ ٤٥ .

والانتماء مع وضوح الذات . وقد تؤدي علاقة الفرد بالآخرين في حالة انحرافها إلى انحراف الشخصية .

٣ــ العوامل الأخرى : وهي مجموع العوامل التي لا تندرج تحت الصفات الأساسية أو الاتجاهات، وأن الأساس الذي تقوم عليه الشخصية تتكون من مجموع العوامل الوراثية التي يولد بها الفرد وهي تتكون من:

أــ عوامل يشترك فيها جميع أفراد النوع، وتتعلق بالمحافظة على الحياة مثل الانعكاسات والدوافع وعمليات التوازن الداخلي وهي عمليات مرتبطة بالجهاز العصبي وتتم بشكل طبيعي دون تدخل الفرد فيها بشكل مباشر.

ب ــ عوامل وراثية تنتقل عن طريق ناقلات الصفات الوراثية وتتعلق بجنس الكائن البشري ولون بشرته وتركيبه العام وحجمه وطباعة المزاجية.

ج ــ الاستعداد للقيام بعمليات تكوين الارتباطات والبنى[١] .

النظرية الثانية: إن العوامل التي تشترك في تركيب مكونات الشخصية هي:

١ــ الدوافع: فلكل فرد أهداف معينة يسعى لتحقيقها فالحاجة إلى المعرفة تدفع الفرد إلى مواصلة القراءة والكتابة، والحاجة إلى التفوق البدني تدفعه إلى ممارسة الرياضة .

٢ــ عامل السيطرة : وهو أن سلوك الفرد ليس عشوائياً وإنما هو سلوك منظم وهادف في حالة الشخصية السوية وتتولى الأعصاب مسؤولية التحكم في أي نشاط بشري وتنظيمه سواء كان حركياً عقلياً فكرياً أو انفعالياً.

---

(١) ينظر: علم النفس الجديد، أليكس موكيالي، تعريب : حسين جيدر، منشورات عويدات، لبنان، ط١، ١٩٩٧م : ١٢ــ ١٨؛ علم النفس أصوله ومبادئه، د. أحمد عبد الخالق، د. عبدالفتاح دويدار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م : ٢٠ــ ٢٩ ؛ معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ــ علم النفس، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م : ٢٦ ــ ٣٣ .

٣ــ عامل التنظيم: لابد من وجود تنظيم داخلي للسلوك لضمان الكف عن تحقيق الرغبات غير الاجتماعية، أي الوازع الذاتي الذي يمنعه من فعل بعض الأمور غير اللائقة أو غير الصحيحة، وقد يكون الوازع دينياً، أو اجتماعياً، أو خوفاً من الآخرين ونحو ذلك[١] .

ثالثاً ــ أهمية الأسرة والمدرسة والمسجد في تكوين الشخصية :

أتناول هنا أهمية الأسرة والمدرسة والمسجد في تكوين الشخصية، لعلاقة هذه المسألة المباشرة بموضوع هذا البحث .

اتفق الباحثون على أهمية الأسرة والمدرسة والمسجد في تكوين الشخصية، فهي نظام اجتماعي له تقاليده الخاصة به، وله نفعه بالنسبة للمجتمع الكلي، وبالنسبة للفرد أيضاً؛ لأن الفرد في الأسرة له حاجاته الخاصة مثل التعبير عن النفس والذات، فالأسرة بوصفها وظيفة اجتماعية تزود أعضاءها بكثير من الإشباعات الأساسية، من بينها توفير مسالك الحب بين أبناء الأسرة[٢] .

وقد أكدت الدراسات العلمية على أثر الأسرة في الفرد، وتلخصت نتائج هذه الدراسات بما يأتي :

١ــ أثر الأبوين في نمو شخصية الأبناء، وفي مظاهر نموهم العقلي واللغوي والاجتماعي والانفعالي لديهم .

٢ــ تأثير الخبرات المبكرة في سلامة الشخصية، وفي الصحة النفسية في المستقبل .

٣ــ وجود النظرة التقليدية إلى تأثير الوراثة الأسرية، وتأثير اتجاهات الأسرة وأساليبها في التنشئة الاجتماعية، ومستواها الاجتماعي

---

(١) ينظر: علم النفس الجديد : ١٨ ــ ٢٢؛ علم النفس أصوله ومبادئه: ٢٩ ــ ٣٣؛ معرفة النفس الإنسانية : ٣٣، ٣٥ .

(٢)ينظر: الأسرة ومشكلاتها، محمود حسن، دار النهضة العربية، مصر، ط١، ١٩٨١م : ١٦.

والاقتصادي والثقافي في ذكاء الأطفال، وإمكاناتهم العقلية والجسمية والنفسية وعلاقتاهم الاجتماعية.

٤ـ كشفت هذه الدراسات وجود علاقة بين أنماط التفاعل الأسري والعلاقات الأسرية، وبين ما يصاب به الأبناء من اضطرابات نفسية أو ما يتعرضون له من انحرافات سلوكية[١] .

من هذا نخلص إلى أن الأسرة والمدرسة والمسجد يسهمان بشكل فاعل وكبير في تكوين الشخصية الوسطية أو الشخصية المتطرفة، فتربية الفرد على التسامح وحب الآخرين والتعايش السلمي مع المخالف من شأنها أن تكون الشخصية السوية، وتضع أول لبناتها، وأن تربية الفرد على التطرف والغلو والكره والرغبة في الانتقام من الآخرين من شأنها أن تبذر بذور الفتنة التي ستطل برأسها قوية عند أي تشجيع من أوساط بيئية أخرى مثل المدرسة والمسجد .

إن التربية الطائفية التي يمارسها الأفراد مثل الآباء،أو بعض علماء الدين، أو المعلمين، أو تلك التي تمارسها المنظمات أو المؤسسات التربوية مثل المدرسة، أو التجمعات الدينية أثر كبير جداً في غرس التطرف في النفوس، وما يساعد على تأجيج روح التطرف عدة أمور، منها :

١. إن تربية النشء الجديد على مفاهيم طائفية غالية ومتطرفة تجد لها تربة خصبة مع قيام أنماط من السلوك المشابهة في بقاع أخرى من العالم فهو لا يرى نفسه وحيداً، ولا يرى فعله شاذاً، وربما يحصل نوع تعاون مع هذه المجاميع، أو قد تحظى على دعم يديم فعالياتها المختلفة[٢] .

---

(١) ينظر: علم النفس الأسري، د. أحمد محمد مبارك الكندري، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م: ١٧ ـ ١٨ .

(٢) ينظر : دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف، عبد الله بن عبد العزيز اليوسف، اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، السعودية، ١٤٢٥هـ: ١٤ .

٢. الفراغ الديني التربوي المعبر عنه بالفراغ الديني في مناهج التعليم في المراحل المختلفة، وفي البيت وفي الحياة الاجتماعية بوجه عام وفي وسائل الإعلام[١] .

٣. تقليد الأشخاص في ما لا يجوز تقليده فيها، بسبب من العصبية للشيخ أو القبيلة أو البلد أو الجنس أو النوع أو المذهب، وغير ذلك[٢] .

٤. الخضوع التام والطاعة العمياء لقيادة بعض الأشخاص، وإمكانية هؤلاء على تحريك المنضوين تحت أمرتهم على حسب أهوائهم وأحياناً يكون الباعث على تحريكهم ذلك سد حاجاتهم المادية[٣] .

٥. شيوع ظاهرة الغلو في التكفير، جراء عدم فهم الدين ومبادئه فهماً حقيقياً، وأن عدم فهم النصوص الدينية واستيعابها يؤدي إلى إشكالات معرفية كبيرة، وتصورات خاطئة، مثل رفع بعض الظنيات التي تقبل الخلاف إلى مرتبة القطعيات التي لا تقبل الخلاف، ثم الولاء والبراء عليها، وتضليل الناس بسببها، بل تصبح شخصية ما – أحياناً ــ هي المبدأ[٤] . ويشترك في هذا القصور كل من الأسرة والمدرسة والمسجد .

٦. تربية الفرد أن طريقه هو الحق، وطريق مخالفه هو البدعة أو الكفر، ثم إنه يحكم على مخالفه بحكم المبتدع، فيقوم من ذلك من الشر ما لا يحصيه إلا الله[٥] .

٧. الخروج على العلماء والطعن فيهم وتنفير الناس منهم للانفراد

---

(١) ينظر: الغلو في التكفير، المظاهر ــ الأسباب ــ العلاج، لأبي حسام الدين الطرفاوي، مكتبة السلف، الرياض، ٢٠٠٧م : ١٩ .

(٢) ينظر: الغلو في التكفير : ١٩ .

(٣) ينظر: تربية الشباب للبعد عن التطرف والإرهاب، عبد اللطيف حسين فرج، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ : ٣٢ .

(٤) ينظر : التكفير، حكمه ــ ضوابطه – الغلو فيه، لفهد عبد الله، منشورات المكتبة، بلا تاريخ : ٨٧

(٥) ينظر: الاستقامة، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، (ت ٧٢٨ هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة محمد بن سعود . المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٣هـ : ١٣/١ .

بتوجيه الشباب، وتوجيه القدح والسب والطعن لتنفير الناس منهم وإطلاق النعوت المذمومة بحق العلماء الأجلاء والانتقاص منهم، والبحث عن أخطائهم مما يجعل الناس والشباب خاصة يفقدون الثقة بهم .

٨. عدّ أي مخالف لمذهبه أنه من أهل الكفر ويجب قتله، والغريب أن هذه الأحكام لا تطلق إلا بحق المسلمين، أما غيرهم من أصحاب الديانات السماوية الأخرى، أو الديانات الوضعية فلا يكاد أحد يبالي بهم أو يتعرض لهم .

٩. الاغترار ببعض الجهلة أو بعض المزيفين العاملين في المجال الديني، أو ببعض المتعصبين لمجرد ارتدائه زياً دينياً، أو لشهرته في أوساط إعلامية معينة بسبب دعم سياسي من جهات مختلفة، وهذا يخالف المقولة المشهورة : ((إن هذا العلم دين، فانظر عن من تأخذ دينك))[١] .

١٠. غياب دور العلماء من القضايا المهمة عند المجتمع وعند الشباب لأسباب كثيرة، منها التقاعس عن أداء أدوارهم، أو الخشية من ردود فعل السلطة أو ردود فعل جماعات معارضة، أو الانشغال بالمنافع الشخصية أو الأعمال الدورية .

١١. مشايخ السوء الذين لا هم لهم غير رضا ولاة أمورهم أو المتنفذين فيحلل الحرام ويحرم الحلال على حسب مقتضى المصلحة الشخصية .

١٢. العزوف عن الدراسة والانقطاع عنها، لأسباب شتى، وقد ثبت بالدراسات العلمية أن هناك ارتباط وثيق بين الجريمة وبين ترك الدراسة، إذ لوحظ ارتفاع نسبتها بين أوساط الذين تركوا مقاعدهم الدراسية، فتبين أن نسبة (٣٧%) من الأحداث الجانحين غير منتظمين في دراستهم، بل إن (١٢%) منهم يتغيبون كثيرًا عن الدراسة[٢] .

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد الجرجاني، (ت ٣٦٥ هـ)، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨م: ١/١٥٠.

(٢) انحراف الشباب، لخالد الجريسي، مطبعة الرياض، الرياض، ١٤٢٠هـ : ٣٦ .

١٣. نشوءهم في عوائل متطرفة منحرفة تغذي فيهم الحقد على المخالفين وتشجعهم على النيل منهم، وبمباركة وتأييد بعض المحسوبين على العلم أو على الدين .

١٤. التضليل الفكري الذي يَغسلُ به بعضُ ضعاف النظر، أو أصحابُ المآرب الخفيّة أدمغةَ الأغرار، وينحّون الفطرة الصالحة النقية من نفوسهم؛ بحجج كثيرة تتصيَّد الأخطاء وتضخمها، وتتكئ في جلها على العواطف المجردة، والحماسة الملتهبة، والتشدد الأعمى؛ مما لم يُنزل الله به من سلطان؛ إلا تزكية النفس والفهم، وأحدية النظرة، واتباع الأغراض الفاسدة، والظن والهوى؛ لذا جاءت هذه الورقة؛ ترتهن للنصوص الشرعية من جهة؛ ولفقه الواقع من جهة أخرى، تقول ما تعتقد أنه الحق في هذا الجانب؛ دون أن تسقط من حساباتها، الأسباب الأخرى التي عرض لها المهتمون[١].

رابعاً ــ ملامح الشخصية السوية :

ينـدر أن يوجد على الأرض حاضراً أو مستقبلاً شخص سوي تام السواء في صفاته وطباعه كلها، وروي عن سعيد بن المسيب قوله: (ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله) [٢].

وفيما يأتي أبرز ملامح الشخصية السوية :

١. التوازن في تلبية المطالب بين الجسد والروح : وهي تعني أن الإنسان السوي هو الذي يلبي نداءات الروح والجسد على حد

(١) ينظر: رب حامل فقه ليس بفقيه ــ رؤية تصحيحية ومعالجة ترتهن للنصوص الشرعية ولفقه الواقع أحمد علي آل مريع، بلا مطبعة، الرياض، ١٤٢٦هـ : ١٦-١٨ .

(٢) الكفاية في علم الرواية، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت٤٦٣ هـ)، تحقيق: أبي عبدالله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، بلا تاريخ: ٧٩ .

سواء وأن الشذوذ والانحراف يمكن أن يوجد عند إشباع الروح على حساب الجسد أو العكس.

٢. الفطرية : وتعني انسجام السلوك مع السنن الفطرية التي فطر الله الناس عليها، فالسلوك كلما تطابق مع الفطرة أو أقترب منها كان سوياً وكلما ابتعد عنها كان شاذاً، ومن ذلك إيمان الإنسان بوحدانية الله وهو أمر فطري، والشرك هو الشذوذ قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١] .

٣. الوسطية: وهي خيرية السلوك وفضيلته، أو هي توازن في أداء السلوك ذاته بين الإفراط والتفريط، فالإنفاق يكون بين الإسراف والتقتير، والعلاقة بالله تكون بين الخوف والرجاء، والاتجاه إلى أحد الطرفين يعد شذوذاً، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[٢] .

٤. الاجتماعية: وهي وجود الإنسان في وسط اجتماعي، وتجاوبه السلوكي مع هذا الوسط، وقدرته على إقامة العلاقة الإنسانية مع الآخرين . ولهذه السمة ارتباط وثيق بالسمة الثانية فالإنسان اجتماعي بفطرته والاتجاه إلى الفردية أو العزلة بدون سبب ملجئ يعد شذوذاً.

٥. المصداقية: وهي الصدق مع الذات ومع الناس، وتطابق ظاهر الإنسان مع باطنه، وكلما اختلف ظاهر الإنسان عن باطنه كلما كان شاذاً وازدوجت شخصيته، وهو النفاق وقد عده القران مرضاً قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ

(١) سورة الروم : الآية ٣٠.

(٢)سورة الفرقان : الآية ٦٧ .

ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[1] .

٦. الإنتاجية: وهي اتجاه الإنسان إلى العمل وتحمل المسؤولية بحدود قدراته، فالعمل أو الإنجاز يعد ركناً مهماً في سواء الإنسان وصحته النفسية، بينما تؤدي البطالة والسلبية إلى الانحراف أو الشذوذ[2].

المبحث الثالث

سبل تكوين الشخصية الوسطية

إن سبل تكوين الشخصية الوسطية يتبلور في اتجاهين :

الأول ــ معالجة أسباب الانحراف السابقة في تكوين الشخصية والمتمثلة في دور الأسرة والمدرسة والمسجد .

وهذا يقتضي العمل في مجالين :

أولهما ــ معالجة فردية تتعلق بمعالجة الانحراف السلوكي لدى الفرد سواء أكان رب أسرة، أم معلم مدرسة، أن شيخ مسجد .

ثانيهما ــ معالجة عامة تشمل المؤسسات الاجتماعية المتمثلة بالأسرة والمدرسة والمسجد وغيرها، إذ إن علاج أحد الطرفين بمعزل عن الآخر سوف لن يكون مجدياً .

وهذه المؤسسات الاجتماعية من شأنها أن تعالج الخلل الأسري أو الفردي في التربية إلى أن يتحقق الإصلاح العام، ولكن هذا مرهون بالرغبة الصادقة لدى هذه المؤسسات في علاج الواقع، لا أن تكون هي بؤرة للتطرف أو الغلو ؛ آنذاك ستكون المعالجة عسيرة للغاية .

---

(١) سورة البقرة : الآيات ٨ ــ ١٠ .

(٢) ينظر: تحليل الشخصيات وفن التعامل معها، عبد الكريم الصالح، دار الطليعة، بيروت، ١٤٧٢هـ : ١٢ ــ ١٨.

والمعالجة تأخذ شكلين :

الأول ــ معالجة آنية محدودة ظرفية، وفيها يجري معالجة الخلل لدى أفراد معيين .

الثاني ــ معالجة عامة شاملة تعالج المشكلة معالجة جذرية شاملة عامة تشمل مفاصل الحياة كافة.

ومن المعالجات المقترحة مما لها علاقة بموضوع البحث :

١ ــ تفعيل دور العلماء :

تمكين العلماء المعروفين الموثق بهم من القيام بواجبهم وفتح الآفاق لكلمتهم والسماح بمرورها إعلامياً وتسخير الإمكانيات لهذا الغرض، فالعالم الشرعي يجب أن يشكل مرجعية حقيقية للجميع، الحاكم والمحكوم على حد سواء، ولا يجوز أن تكون المنابر الدينية حكراً على فئة ما، ولا ينبغي أن يغتر بفتوى شاذة لعالم ما تخالف أقوال العلماء، ولا الفتاوى التي تتعارض مع الحقائق الإسلامية الثابتة .

وكذلك ضرورة العمل على منع من لا يوثق بعلمه وعقله وخلقه من إصدار الفتاوى التي تمس أمن المجتمع، وتماسك الأمة، أو تؤدي بها إلى الحرج، أو بمصالحها إلى الضرر؛ في زمن تحول العالم فيه إلى قرية واحدة، تتنقَّل في أرجائها المنافع والخبرات .

وهذا يقتضي حسن اختيار أئمة المساجد والجوامع، إذ صرنا نرى بعض أئمة المساجد يستقطب المصلين لنشر أفكاره فيهم، لذلك حرصت بعض القوى على تولي إدارة المساجد والجوامع لهذا الغرض، والمشكلة إن كانت هناك مساجد أخرى على هذه الشاكلة، فيتعاون هؤلاء على نشر أفكارهم وتعبئة الناس حولهم، بل صارت خطب الجمعة تعبر عن موقف هذا الحزب أو ذاك، وفي بعضها تشيع دعوات الكره والحقد، ولا خلاف في أن هذا السلوك من شأنه أن يزعزع الوسطية في سلوك الأشخاص، لذلك لا بد أن تكون الجهات المسؤولة عن المساجد حازمة في عن الخروج عن

منهج الاعتدال، أو الخروج عن الأعراف السائدة في المساجد والجوامع، إذ إن أغلب الخروقات تجري على أيدي أشخاص لهم توجهات شخصية، من ذلك على سبيل الاستشهاد إلغاء الأذان الأول للجمعة تحت ذريعة البدعة، فمن يقدم على مثل هذا الفعل من أئمة المساجد يعني أنه لا يقيم وزناً لإجماع الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ ولا يأبه بالمنهج العام لمساجد العراق، وهذه بادرة خطيرة تحمل في ثناياها روح الانشقاق والتمرد والشذوذ .

وقد يقال إن من حق هذا الشيخ أو ذاك أن يتبنى ما يريد من وجهات النظر، والجواب عن هذا : إن من حقه أن يتبنى ما يشاء ولكنه يعمل مضمن مؤسسة عامة وليس ضمن مؤسسة فردية يسيسها كما يشاء .

وهذا ما لاحظناه بعد احتلال العراق، وإلغاء وزارة الأوقاف، إذ راح كل إمام مسجد يدير مسجده على هواه، كما أن ظروف العراق اللاحقة جعلت من المتعذر على ديوان الوقف السني متابعة المساجد .

فلا بد من وضع ضوابط محددة لمن يتولى مهمة الخطابة والوعظ، والتوجيه والإرشاد، ومن أبرز هذه الضوابط، أن يكون من خريجي الكليات الدينية المعتبرة، وأن يكون صاحب خلق ودين، وألاَّ يكون من المعروفين بنزعاتهم الشاذة إلى الغلو والتطرف.

وكذلك العناية بالمعلمين والوعّاظ والمُذَكِّرين وخطباء المساجد، والذين يضطلعون بمهام التوجيه والتربية والتعليم والإرشاد في المجتمع، والنظر في مشكلاتهم، وتبصيرهم بأساليب الدعوة الحكيمة، وتزويدهم بالفتاوى الشرعية في المستجدَّات أولاً بأول؛ حتى لا يترك مكان للتخرصات أو الرجم بالظنون. وإعادة تأهيل من يحتاج منهم إلى تأهيل، وعقد دورات تخصصية متعددة في: أساليب الوعظ والإرشاد، وأسس النصح والمعالجة الحكيمة، ومفهوم الوسطية والاعتدال، وتقبل الرأي الفقهي الآخر، والبعد عن التطرف والغلو....إلخ.

٢ــ التعايش السلمي :

تطبيق مبدأ حسن التعامل والحكمة في التعامل مع الآخرين، وتربية الفرد على التعايش السلمي مع الآخرين، فلا شك أن الحياة تحتاج إلى التعامل مع المخالف، والتعامل الصحيح يسهم في تكوين نظام دقيق هو الأساس في نجاح التعايش وتقبل أفكار الآخرين من المسلمين وغيرهم والعدل معهم وعدم ظلمهم، قال الله تعالى ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1]، وإذا كان هذا مع الكفار، فهو مع المسلمين من باب أولى .

٣ ــ الحوار :

إيجاد الحوار المفتوح من رجال الفكر الديني والعلماء لكل الأفكار الواردة أو المتطرفة، ومناقشة بعض الجوانب التي تؤدي إلى التطرف، فالحوار يُعد وسيلة للوصول إلى اليقين والحق في مسألة اجتهادية اختلفت فيها أقوال المجتهدين، فيتكلم اثنان في محاورة أو مناظرة للوصول إلى الحق في مسألة اجتهادية ليس فيها نص صريح، أو إجماع لا يجوز تعديه، وليس من الضروري أن نتيجة الحوار لابد أن تكون هي إقناع الطرف الآخر، فليس هذا بلازم، فأقل شيء يمكن كسبه من الحوار هو أن يعلم الطرف الآخر أن حجة خصمه قوية، وأن هناك رأي آخر له أدلته وحججه، فكثير من الناس يظنون أن الآخرين لا يملكون الحق، وليس عندهم دليل أو وجهة نظر منطقية، وأنهم مجرد مقلِّدين، فإذا حاوروهم وناظروهم علموا أن لديهم حججًا قوية .

وإن الجهل يزول بالعلم، ولهذا كان كثير من الخوارج الأُوَل يرجعون عن بدعتهم بالمناظرة، بل رجع منهم على يد عبد الله ابن عباس ـــ رضي

(١) سورة الممتحنة : الآية ٨ .

الله عنهما ــ لما أرسله علي بن طالب ــ رضي الله عنه ــ للمناظرة [١]، "وكذا في عهد عمر بن عبد العزيز، نوقشوا فرجع منهم عدد كبير"[٢]، ولهذا فالجهل من أسهل الأسباب ؛ لأنه سرعان ما يزول بالعلم والتعليم، وهذا من واجب العلماء والدعاة .

٤ ــ التثقيف الديني :

ويمكن تحقيق ذلك بتشجيع الدورات التربوية والشرعية المكثفة، وتشجيع المحاضرات العامة والدروس العلمية، وبث روح البحث العلمي بإقامة مسابقات عامة في بحوث علمية، خاصة ما يتعلق بهذه المسائل.

٥ ــ توظيف وسائل الإعلام :

ويتحقق هذا بعدد من والوسائل من أهمها إيجاد القنوات العلمية والدعوية والإعلامية التي يمكن توظيفها لخدمة التربية القويمة، وبهذا الصدد فمن الضروري أن يكون لديوان الوقف السني قناة فضائية تمثله أو ترتبط به بشكل غير مباشر .

٦ ــ معالجة مشاكل الشباب :

إن مشاكل الشباب لا تعالج بمعونة أو بمنحة مالية، إذ إن هذه المعونة لا تعالج جذور المشكلة، وهي الفراغ والحاجة إلى العمل، إذ إن شعور الفرد بالإحباط والفشل الاجتماعي من شأنه أن يدفع الشاب إلى النقمة على المجتمع، وأن يكون فريسة يسهل اصطيادها لكل من هب ودب .

إن مسؤولية إصلاح المجتمع هي مسؤولية المجتمع ممثلاً بالدولة، فإن أي علاج تقدم عليه مؤسسات أو جمعيات خاصة من دون عناية الدولة ودعمها سيكون كفقاعة في الماء، فإن لم يكن هناك حرص من الدولة على

---

(١) المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، (ت ٢١١هـ)، تحقيق: تخريج وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ : ١٥٨/١٠ .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن ابي شيبة الكوفي، تحقيق، كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ : ٥٥٧/٧ .

دعم الوسيطة وتشجيعها، فينبغي أن نتوقع تنامي ردود الفعل السلبية، إذ لا يعقل أن تتمسك مجموعة ما بالوسطية في حين أن الآخرين يواجهونها بأشكال مختلفة من التطرف .

وهذا يقتضي المساواة بين الناس وإتاحة الفرص للجميع، من دون تفريق بينهم على أسس طائفية أو عرقية أو دينية، فالعدل أساس الملك .

وأن التهديد الموجه إلى الحرية في أي مجتمع ينبغي النظر إليه بوصفه تهديداً للمجتمعات الأخرى، واتخاذ الإجراءات ضد محاولات انتهاك الحق في الحرية يُعد مسؤولية مشتركة، فعلى الرغم من أن الناس يولدون في ظروف اقتصادية واجتماعية غير متساوية إلى حد كبير، إلا أن التباين الكبير في أحوالهم أو في حجم فرص الحياة المتاحة أمامهم يعد إهانة لإحساس الإنسان بالعدل . وفي الحالات التي يتلقى فيها أعداداً كبيرة من المواطنين معاملة غير منصفة أو يحرمون من حقوقهم، لا مناص أن يتفجر السخط وربما الصراع لديهم، وتخرج مكامن الشر عندئذٍ، لتتفوق على مكامن الخير[١] .

(١) ينظر دراسات في التربية وعلم النفس، للدكتور فاخر عاقل، دار الرائد العربي، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م : ٢٥ .

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث ألخص أهم النتائج والتوصيات :

أولا ــ النتائج :

١. إن الانحياز إلى فكرة ما حق مشروع لكل الناس، ولا مشكلة في الانتماء، أو أن يرى هذا الفريق نفسه أصحّ من غيره، ولكن المشكلة في أن يرى نفسه حقاً وسواه على الباطل، ولا يكتفي بهذا الشعور، بل يسعى إلى إرغام الآخرين على تبني أفكاره وترهيبهم للخضوع لها .

٢. إن المسلمين يعتمدون الوسطية ليس بوصفها حل مستورد، أو أن الظروف أملت عليهم العمل بها، بل لأنها منهج إسلامي أصيل .

إن التمسك الحقيقي بالقيم والأخلاق الإسلامية من شأنه أن يهذب الشخصية المسلمة، ويجنبها الغلو والتطرف، ويلزمها الوسطية والاعتدال.

٣. إن الأخلاق الإسلامية ثمرة العقيدة الصحيحة، والأخلاق الفاسدة نتاج الفهم المنحرف للعقيدة .

٤. اتفق الباحثون على أهمية الأسرة والمدرسة والمسجد في تكوين الشخصية، وأن أي انحراف في هذه الشخصية يتحمل تبعاته هذه الجهات .

٥. إن الشخصية السوية تتصف بالتوازن في تلبية المطالب بين الجسد والروح، وبالفطرية، والوسطية، والاجتماعية، والمصداقية، والإنتاجية.

ثانياً ــ التوصيات :

١. تمكين العلماء الموثق بهم من القيام بواجبهم.

٢. حسن اختيار أئمة المساجد والجوامع والمعلمين والوعّاظ .

٣. إيجاد الحوار المفتوح من رجال الفكر الديني والعلماء لكل الأفكار الواردة أو المتطرفة .

٤. تشجيع الدورات التربوية والشرعية المكثفة، وتشجيع المحاضرات

العامة والدروس العلمية .

٥. إيجاد القنوات العلمية والدعوية والإعلامية التي يمكن توظيفها لخدمة التربية القويمة .

٦. معالجة مشاكل الشباب معالجة جذرية .

٧. إن مسؤولية إصلاح المجتمع هي مسؤولية المجتمع ممثلاً بالدولة .

٨. المساواة بين الناس وإتاحة الفرص للجميع، من دون تفريق بينهم على أسس طائفية أو عرقية أو دينية، فالعدل أساس الملك .

والله من وراء القصد .

المصادر والمراجع

١. الأبعاد الأساسية للشخصية، د. أحمد محمد عبد الخالق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٤، ١٩٧٨م .

٢. الأدب المفرد . لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت٢٥٦ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

٣. الاستقامة، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (ت٧٢٨هـ)، تحقيق : د . محمد رشاد سالم، جامعة محمد بن سعود . المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٣هـ .

٤. الأسرة ومشكلاتها، محمود حسن، دار النهضة العربية، مصر، ط١، ١٩٨١م .

٥. انحراف الشباب، لخالد الجريسي، مطبعة الرياض، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٦. تحليل الشخصيات وفن التعامل معها، عبد الكريم الصالح، دار الطليعة، بيروت، ١٤٧٢هـ .

٧. تربية الشباب للبعد عن التطرف والإرهاب، عبد اللطيف حسين فرج، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ.

٨. التكفير، حكمه ـ ضوابطه – الغلو فيه، لفهد عبد الله، منشورات المكتبة، بلا تاريخ .

٩. توضيح المعاملات المالية في ظل النظامين الرأسمالي والاشتراكي وموقع الفرد والمجتمع منهما في كتاب الوسطية في الإسلام، للدكتور زيد الزيد .

١٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، (ت٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ .

١١. دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، محمد عبدالله دراز، دار القلم، الكويت، ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م.

١٢. دراسات في التربية وعلم النفس، للدكتور فاخر عاقل ، دار الرائد العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م .
١٣. دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبدالله دراز، وزارة الأحباس والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية مطبعة فضالة المحمدية، الرباط، ١٩٨٣.
١٤. دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف، عبد الله بن عبد العزيز اليوسف، اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، السعودية، ١٤٢٥هـ .
١٥. رب حامل فقه ليس بفقيه ــ رؤية تصحيحية ومعالجة ترتهن للنصوص الشرعية ولفقه الواقع أحمد علي آل مريع، بلا مطبعة، الرياض، ١٤٢٦هـ .
١٦. شرح صحيح مسلم، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي، (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ .
١٧. صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ودار اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م .
١٨. صحيح مسلم . لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ .
١٩. علم النفس أصوله ومبادئه، د. أحمد عبد الخالق، د. عبد الفتاح دويدار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م .
٢٠. علم النفس الأسري، د. أحمد محمد مبارك الكندري، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ط٢، ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م .
٢١. علم النفس الجديد، أليكس موكيالي، تعريب : حسين جيدر، منشورات عويدات، لبنان، ط١، ١٩٩٧م .

٢٢. الغلو في التكفير، المظاهر ــ الأسباب ــ العلاج، لأبي حسام الدين الطرفاوي، مكتبة السلف، الرياض، ٢٠٠٧م .
٢٣. الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبدالله بن عدي بن عبدالله ابن محمد الجرجاني، (ت ٣٦٥ هـ)، تحقيق : يحيى مختار غزاوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩ هـ ــ ١٩٨٨م .
٢٤. الكفاية في علم الرواية، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، (ت٤٦٣ هـ)، تحقيق : أبي عبدالله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، بلا تاريخ .
٢٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت ٨٠٧هـ)، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، بيروت، ودار الكتاب العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ .
٢٦. المدخل إلى القيم الإسلامية، جابر قميحة، القاهرة، دار الكتاب المصري.
٢٧. مسند الشهاب، لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، (ت ٤٥٤هـ)، تحقيق : حمديبن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٦م.
٢٨. المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، (ت٢١١هـ)، تحقيق : تخريج وتعليق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ .
٢٩. مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن ابي شيبة الكوفي، تحقيق، كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ .
٣٠. معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ــ علم النفس، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م .
٣١. الوسطية في ضوء القرآن، للدكتور ناصر العمر، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م .